أسباب الوباء وطرق الوقاية منه من خلال مخطوط: المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية لابن هيدور التادلي (ت816هـ/1413م): قراءة في الذهنية المغربية الوسيطية

Causes of the ipedimic and ways to prevent it through the manuscript: "al-mqālatu al-ḥkmīyatu fī al-ʾamrāḍi al-ūbāʾīyati" of Ibn Haydour al-Tādilī (D. 816AH/1413AD): a reading of Maghrebian mentality in middle ages

1–حسين بوبيدي[1]*، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)/ مخبر الدراسات والبحوث في حضارة المغرب الإسلامي

hocine.boubidi@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/05 تاريخ القبول: 2024/01/09 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص: حظي موضوع الأوبئة بالعديد من المؤلفات التي كانت وفية لوجهة النظر الإغريقية، لكن المؤثرات العرفانية القديمة حظيت هي الأخرى بحضور في الآراء الطبية التي طرحتها هذه الكتابات، وخاصة بعد أن انتشرت الأفكار الغنوصية والهرمسية والأفلاطونية المحدثة، التي كان التصوف طريقها إلى التوسع والوصول إلى الفقهاء السنة مدة طويلة من تقبل الشيعة لها، فتداخل العلم مع السحر والطلاسم والتنجيم. إن المخطوط الذي نقدمه في هذه الدراسة لابن هيدور التادلي **(ت816هـ/1413م)** هو نموذج من نماذج هذا الجمع بين الطب اليوناني والتأثير الغنوصي، حيث يجتمع أبقراط وجالينوس والأطباء المسلمون مع الطلاسم والحروف السرية وأحكام الكواكب، ليكشف كل ذلك عن صورة من صور التاريخ العقلي في المغرب الإسلامي.

كلمات مفتاحية: ابن هيدور التادلي، الوباء، الطاعون، التنجيم، الغنوصية.

Abstract: the subject of epidemics had many faithful works from the Greek perspective. However, the ancient mystical influences also had a presence in the medical opinions presented in these writings, especially after the spread of Neoplatonism, Hermeticism, and the Newly-established Gnostic ideas, which Sufism has long been accepting. Thus, science was intertwined with magic, talismans, and

[1] * المؤلف المرسل

astrology. The manuscript presented in this study by Ibn Haydour al-Tādilī (D. 816AH/1413AD) is a model of this combination of Greek medicine and Gnostic influence, where Hippocrates, Galen, Muslim doctors, talismans, and secret letters come together to reveal an image of the intellectual history in Islamic Maghreb.
Keywords: Ibn Haydour al-Tādilī, Epidemic, Plague, Astrology, Gnosticism.

- **مقدمة**

مثلت جائحة كورونا كوفيد 19 دافعا هاما وجّه أنظار الباحثين في التراث إلى العناية بالمؤلفات التي تناول فيها المسلمون مسألة الأوبئة والطواعين، حيث يتكشف وجود الكثير من القضايا التي شغلت العقل الإسلامي أمام هذه الأزمات الخطيرة التي هددت المجتمعات في وجودها، وخلفت صورا متعددة من المآسي والأحزان، وغرست في الذهنيات تصورات متناقضة في تفسيرها وطلب النجاة منها، وقد دمجت المؤلفات الطبية التي كتبها المسلمون بين التراث الإغريقي والنصوص الدينية، وتساءلت حول تفسير أسباب الأوبئة، وتقسيم أنواعها بحسب أثرها على جسد المريض، والأدوية الموصوفة لها وقاية وعلاجا، وجرت نقاشات طويلة حول مسألة العدوى انطلاقا من التجربة أحيانا، ومن تفسير دلالات بعض النصوص الشرعية أحيانا أخرى، وبالجمع بين هذين الرؤيتين في حالات أيضا، وقد استدعيت في هذه المؤلفات أقوال الحكماء وقصص المرضى وحكايات المتصوفة، ولم تخل من آثار استدخال العقل الإسلامي للأفكار العرفانية القديمة (الهرمسية والغنوصية والأفلاطونية المحدثة)، فاستجلبت بعض المؤلفات أفكار المنجمين، وفسرت بتأثير الكواكب وقوع هذه الأمراض في أوقات مخصوصة، وعملت على أن تعطي لهذه الرؤية العرفانية القائمة على نظريات الفيض الأفلوطيني تخريجات دينية عبر ما سمي بالطب الروحاني القائم على الطلاسم وبعض التعاويذ.

إن النص الذي نقدمه في هذه الدراسة ينتمي إلى المؤلفات الطبية التي كتبت في بلاد الغرب الإسلامي بعد الطاعون الجارف سنة: 749هـ/1348م، كتبه الرياضي ابن هيدور التادلي، ونحاول من خلاله أن ندرك كيفية تعاطي المغاربة في هذه المرحلة مع الأوبئة وكيفية تفسيرهم لها؟ وهل مثل ابن هيدور نقلة في هذه التصورات أم أنه كان استمرارا لأشكال التشخيص والعلاج المقترحة؟ وكيف يمكن من خلال هذا المخطوط أن نفهم ملامح تأثير التيارات العرفانية القديمة في الطب الإسلامي؟ ونتساءل عن الطريق الذي سلكته هذه الأفكار إلى علم يعدّ من العلوم العقلية القائمة على التجربة؟

إن الغرض من الدراسة يتمثل في قراءة الذهنية المغربية الوسيطة في تعاملها مع الوباء، وفهم التداخلات التي حدثت بين الخطاب الشرعي والإغريقي والعرفاني لتشكل التفسير السائد بين النخبة

والعامة لهذه الأوبئة الفتاكة، وسيتم الاعتماد بالأساس على مخطوط ابن هيدور التادلي ومقارنته بأهم الأعمال الطبية المتعلقة بالأوبئة والطواعين في بلاد المغرب بشكل أخص، لتقييم أهمية هذا النص وقيمته بين المؤلفات الطبية، ومدى عكسه للعقل المغربي الوسيط.

1. التعريف بابن هيدور التادلي

يمثل كتاب جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي المصدر الأساسي في التعريف بابن هيدور التادلي، وعنه نقل من جاء بعده، وقد جاءت ترجمته مختصرة، حيث ذكر أنه: علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي، ويبدو أنه قد عرف من خلال اشتغاله على أعمال الرياضي الكبير ابن البنا المراكشي (ت: 721هـ/1321م)، حيث يقتصر ابن القاضي عند ذكره لمؤلفاته على الإشارة لما ألفه حول كتاباته؛ فذكر أن له شرحا على تلخيص ابن البنا في الحساب، وتقييدا على رفع الحساب له أيضا، لكنه نبه إلى أنه اشتغل بغير ذلك من العلوم فقال: "كان له خط رائق، وكان كثير التقييد، وله مشاركة في فهنون شتى"[1].

من المشكلات المتعلقة بشخصية ابن هيدور الخلاف الواقع في ترجمته، وبالضبط في اسمه وأصله وعلاقته بعيد الرحمن الثعالبي (ت: 875هـ/1471م)، وهي المسألة التي درسها إدريس نغش الجابري، ورجّح أن مدخل الغلط الذي دفع بكارل بروكلمان وعادل نويهض و إدريس لمرابط إلى تسمية ابن هيدور بـ: أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي وأنه أصيل بجاية، ومن شيوخ عبد الرحمن الثعالبي هو: "الخلط بين اسم علي بن عبد الله (ابن هيدور) وشخصين آخرين ذكرهما التنبكتي هما: علي بن موسى، وعلي بن محمد البجائيان؛ الذين قال التنبكتي أنهما من شيوخ عبد الرحمن الثعالبي، مع أنه لم يقف لهما على ترجمة "[2].

---

[1]- ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973، ج2، ص: 475.

[2]- ادريس نغش الجابري، علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي الفاسي (ت: 816هـ) حياته وفكره الرياضي ونصوص مختارة وتحليل رياضي لمقاطع من كتابه التمحيص، الرباط، مركز ابن البنا المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، 2014، ص: 31. وانظر الرأي الثاني عند: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج7، ص ص: 502-506؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1971، ص: 122؛ عبد الجليل قريان، العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني 633-692هـ/1235-1554م، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة قسنطينة 2، 2015-2016، ج1، ص: 393.

والذي يتبين من العودة للتراجم أن التنبكتي هو الذي قدّم هذا الرأي؛ إذ نقل ما جاء عند ابن القاضي وعدّل فيه، ثم أضاف أنه أصيل بجاية ومن شيوخ عبد الرحمن الثعالبي، حيث كتب ما نصه: «علي بن موسى البجائي أحد شيوخ عبد الرحمن الثعالبي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي، كان إماما في الفرائض والحساب، حسن الخط كثير التقليد، له مسائل في فنون. شرح تلخيص ابن البنا وقيد على رفع الحجاب له، توفي عام ستة عشر وثمانمائة"[1]، أما الكنية بأبي الحسن فنجدها في مقدمة مخطوطه محل الدراسة، وذكر ذلك الونشريسي في وفياته[2]، ومن خلال ما ورد في مخطوطات ابن هيدور يتبين صحة الاسم الذي ذكره ابن القاضي دون أحمد بابا التنبكتي، الذي خلط بين شخصيتين مختلفتين.

أما أصله ونشأته: فيتجلى من اسم الرجل؛ حسب الروايات – على تباينها – أنه تادلي الأصل، ومن خلال تصريح ابن هيدور بنفسه في كتابه التمحيص نعلم أنه درس بمدرسة العطارين بفاس، على يد الشيخ أبي زيد عبد الرحمن اللجائي[3]، ونستفيد من ذلك أنه رحل إلى فاس في فترة مبكرة لتلقي علم الحساب بها، وربما باقي فنون المعرفة الأخرى. ولهذا حمل صفة الفاسي إلى جانب التادلي، حسب ترجمة ابن القاضي ومن نقل عنه[4].

من خلال ما ذكره ابن القاضي في ترجمة ابن هيدور من أنه "إمام الفرائض والحساب"[5]، نعلم أنه من أنجب تلاميذ اللجائي، الذين تحولوا من التلمذة إلى التدريس والمشاركة العلمية، ولئن تمثلت هذه المشاركة العلمية في الرياضيات (الحساب والفرائض)، فقد شملت فنونا شتى، كما قال ابن القاضي ذاته،

Driss Lamrabet, introduction a l'Histoire des mathématiques Maghrébines, Rabat, Imprimerie El maarif Al Jadida, 1934, p : 110.

[1]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، دار الكاتب، 2000، ص: 333. وعنه نقل أيضا: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة، 1906، ج2، ص: 273.

[2]- الونشريسي، كتاب وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، القاهرة، شركة نوابع الفكر، دت، ص: 82.

[3]- هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الربيع سليمان اللجائي، وهو أحد تلامذة ابن البناء، وقد وصفه ابن قنفد القسنطيني أنه حاز عن شيخه "علومه بتحقيق"، وقد أخذ عنه ابن قنفد، وقال عنه أحمد بابا التنبكتي "كان فقيهًا متفننًا، له تآليف"، وقد توفي سنة: 773هـ. انظر ترجمتهما له في: الوفيات، تح: عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983، ص: 369. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 248.

[4]- ادريس نغش الجابري، علي بن عبد الله بن محمد بن هيديور التادلي الفاسي، ص: 31.

[5]- ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ج2، ص: 475.

وتدل قائمة مصنفاته على جمعه بين علوم الحساب والمساحة والفلك والطب[1]. كما تدل النصوص التي وصلت إلينا، كالتمحيص وتحفة الطلاب، على معرفة واسعة بالفلسفة والمنطق والتصوف، وبضاعة غير مزجاة من اللغة والفقه والكلام؛ إذ يستحضر كثيرا من أعلام الرياضيات السابقين عليه، وينظر في مسائلهم بعين الخبير، ويستحضر نصوص الفلاسفة كابن سينا والغزالي وإخوان الصفاء، والمتكلمين كأبي هاشم والقاضي عبد الجبار، ويناقش بعض هؤلاء وأولئك في المسائل المنطقية بأدواتها الاصطلاحية، ويذكر الخلافات اللغوية الدقيقة وشواهدها نثرا وشعرا، ويدقق النظر في المسائل الفقهية، كالزكاة، بلغة الفقيه وأدوات الرياضي العالم بالصناعة[2].

خلف ابن هيدور التادلي عدة مؤلفات أكثرها في الحساب والهندسة[3]، وكتابا واحدا في علم الفلك، أما في الطب فقد خلف 3 مؤلفات هي:

- الدرة الحسناء في شرح قصيدة ابن سينا. في 24 ورقة (مخطوط).
- رسالة في ماهية المرض المعدي: وهو رسالة في 3 ورقات تعتبر تلخيصا للدرة الحسناء (مخطوط).
- المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية وهي التي نقدمها في هذه الدراسة.

وقد نص ابن القاضي أن ابن هيدور توفي بفاس سنة: 816هـ/1413م في إحدى المجاعات التي حلّت بهذه المدينة[4]، وهي مجاعة لم توفر لنا المصادر التي وصلتنا معلومات عنها.

2. المخطوط: المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية

تتوفر من هذا المخطوط عدة نسخ:

أ- نسخة خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني بالرباط: ضمن مجموع 3/455؛ في 14 صفحة من: ص: 36-49، كتب بخط مغربي على يدي مقيدها لنفسه بخطه: علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري، وذلك في يوم الثلاثاء الموفّى عشرين لشهر ربيع الأول المبارك من عام أحد وستين وثمانمائة بموافقة الخامس عشر من فبراير الأعجمي، وهي معنونة بـ: المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، مسطرتها: 17 ويحتوي كل سطر ما بين: 10-12 كلمة في المتوسط؛ وعلى هذه النسخة سيكون اعتمادنا في

[1]- ادريس نغش الجابري، علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي الفاسي، ص: 32.

[2]- المرجع نفسه، ص: 32.

[3]- انظر: المرجع نفسه، ص ص: 33-39 حيث نجد تعريفا مختصرا بمؤلفاته في مختلف الفنون.

[4]- ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ج2، ص: 475.

هذا المقال، وإليها تحيل الصفحات الواردة في الإحالات إلى النص المخطوط، مع الإشارة أنها واضحة في أغلبها، وقد قابلتها مع النسخة التي تليها.

ب-نسخة مؤسسة علال الفاسي بالرباط: رقمه: 138، وتوجد نسخة منه في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية بالدار البيضاء تحت رقم: 364 ضمن مجموع رقم: 1 وتقع في 6 ورقات، كتبت بخط مغربي دون وجود اسم الناسخ، وهي معنونة بـ: كتاب في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية؛ مسطرتها: 23 ويحتوي كل سطر ما بين: 10-12 كلمة في المتوسط؛

ج-نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط: تحت رقم: 9605. في 3 ورقات، وقد أتت الأرضة والرطوبة على جزء هام منها مما يصعب استعمالها، وهي دون عنوان.

د-نسخة في دار الكتب المصرية: تحت رقم 183 طب بعنوان: الرسالة في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الأغذية.

3. الطب في التجربة الإسلامية: من التجربة العملية والميراث المحلي إلى التأثير الإغريقي والغنوصي:

يعرف ابن خلدون الطب بأنه "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء"[1].

يؤكد جميل صليبا في دراسته المميزة حول العلوم الإسلامية أن حضارة ما قبل الإسلام كانت منفتحة على محيطها الساساني والبيزنطي ومسايرة للتطورات العلمية فيه، وأنها قد طورت بعض العلوم الأساسية، ومنها الطب والفلك، وأن العلوم التي يمكن توثيقها في تلك الفترة لم تكن مختلفة كثيرا من حيث النوعية عن العلوم التي كانت متداولة في المناطق المجاورة؛ مثل بيزنطا أو إيران الساسانية أو حتى الهند[2]؛ ويضاف إلى هذه المعارف الممارسات الطبية التقليدية التي تعبر عن تجارب الإنسان العربي بحسب

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: إبراهيم شبوح وإحسان عباس، تونس، 2006، ج2، ص: 317.

[2]- جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، تر: محمود حداد، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011، ص: 19. وهو يشير في هذه النتيجة إلى عمل سابق له هو:

George Saliba, "Science before Islam", in: The Different Aspects of Islamic Culture, Editor: Al-Hassan, Ahmed Y. Iskandar, A.Z. · Ahmad, S. Maqbul, UNESCO publishing, V4, T1, p p: 27-49.

ما توفر له في بيئته من الأعشاب، وما استفاده من مراكمة تجاربه المختلفة، وهو النوع الذي قال ابن خلدون أنه "ربّما يصحّ منه البعض؛ إلّا أنّه ليس على قانون طبيعيّ ولا على موافقة المزاج"[1]، وبالتالي فإننا أمام نموذجين: علمي وشعبي، والمؤلفات ذات المكانة في تاريخ الطب في سياق الحضارة الإسلامية تنتمي إلى النوع الأول؛ مثل كتابات ابن الجزار وابن سينا وابن رشد وابن زهر وغيرهم، والتي تأسست على أعمال جالينوس وأبقراط وبولس الإيجيني الإسكندراني ودروس مدرسة جندي سابور والاسكندرية وغيرها من المدارس التي حفظت التقاليد الهلنستية، وأضافت لها ما طورته من خلال الملاحظة والتجربة والإبداع في مختلف الجوانب النظرية والتطبيقية؛ مثل: الجراحة وتركيب الأدوية وغيرها[2]، وفي هذا السياق لابد من التأكيد على أن الانفتاح العربي الإسلامي على منجزات المدرسة اليونانية لم يكن بعيدا عن التطورات التي عرفتها بفعل التقاء الفلسفة اليونانية بالمعارف الشرقية (الهرمسية والغنوصية)، ذلك أن بدايات حركة الترجمة في زمن خالد بن يزيد بن معاوية انطلقت من التراث الذي خلفته مدرسة الإسكندرية الذي كان نموذجا لهذا التمازج[3].

من ناحية أخرى؛ تشكل بالتدريج تيار طبي آخر أطلق عليه اسم: الطب النبوي، وإن كان يحمل أيضا استمرارية للتقاليد الطبية العربية، وأول من كتب في هذا الموضوع من السنة: ابن السني (ت: 364هـ) الذي ألف "الطب النبوي"، ومن الشيعة الأخوان أبو عتاب عبد الله والحسين بن بسطام سابور (أواخر القرن 4هـ/10م)، اللذين أضافا أقولا لأئمة الشيعة في مؤلفهما وأسمياه: "طب الأئمة". ويعتبر القرن 4هـ/10م عهد ازدهار هذا النوع من الطب على صعيد الاهتمام المعرفي، لكن انتشاره العملي كان بالخصوص في القرنين 7-8هـ/13-14م وما بعدهما، حيث ألف ابن القيم الجوزية والذهبي في القرن 8هـ/14م بنفس العنوان: "الطب النبوي"، ويمكننا أن نلاحظ ببساطة أن الذهبي غالبا ما يستشهد إضافة إلى الأحاديث النبوية بأبقراط وابن سينا، ولذلك فهو يقدم نموذجا للمزج بين الطب العربي الأصيل والنص النبوي وبين أفكار ومصطلحات المنهج اليوناني[4].

لقد أشارت إملي سافاج سميث/Emilie Savage-Smith من خلال تتبعها لمسار الاهتمام بهذا النوع من الطب إلى أن "الأطباء المنتمين إلى المدرسة المرتكزة على الطب اليوناني، ومهمات كانت خصوصيات

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، ص: 318.

[2]- انظر في هذا الموضوع الدراسة الهامة لـ: إملي سافاج سميث، "الطب"، نشر في: موسوعة تاريخ العلوم الاسلامية، إشراف: رشدي راشد، ج3، ص ص: 1151-1224.

[3]- انظر: ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رضوان، بيروت، دار المعرفة، 1997، ص ص: 300، 434.

[4]- إملي سافاج سميث، "الطب"، نشر في: موسوعة تاريخ العلوم الاسلامية، ج3، ص ص: 1182-1183.

مشاعرهم الدينية لم ينتقدوا الطب النبوي، حتى وإن أظهروا خشيتهم من الأطباء غير الأكفاء والمخادعين"[1]، واعتبرت أهم نقد وجه لهذا النوع من الطب هو ما كتبه ابن خلدون في مقدمة تاريخه، ووصفته بالنقد المعتدل، حيث نقرأ عنده: "إنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: **أَنْتُم أَعْلَمُ بِأَمْرَ دُنْيَاكُمْ**، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع ! فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية"[2].

وتعدّ المؤلفات حول الطاعون أحد أهم الأمثلة عن هذا التمازج بين هذين الخطابين الطبيين؛ حيث ظهر هذا النمط في الكتابة في القرنين 7-8هـ/13-14م وما تلاهما، "ففي المرحلة الأولى من كتابة المقالات في الطاعون جرى جمع وتفسير الأحاديث النبوية المختلفة التي لها علاقة بالآراء حول العدوى وردود فعل الجسم عليها، لكن المؤلفين حاولوا أيضا إعطاء التفسيرات الطبية ووصف العقاقير لهذا المرض، كما حاولوا أيضا كتابة تاريخه حتى زمن مؤلفاتهم هذه، وقد كتبت أغلبية هذه المقالات من فقهاء في الدين، كما هي الحال عليه في مقالات: الطب النبوي، باستثناء عدد صغير منها ألفه كتبة مثقفون ومطلعون في الوقت نفسه على الشريعة والطب معا"[3].

إن الذي حدث في السياق الإسلامي هو أن الفقهاء قد استعادوا تدريجيا العلوم العربية الوسيطية، وجنحوا بها باتجاه تقليد شعبي محلي، وبالتدريج تم دمج تيارات مختلفة في بعضها البعض، والنتيجة أننا حصلنا على تركيبة علوم قامت في البداية باعتبارها عقلية محضة، لكنها حقنت بمعطيات دينية، واستدخلت تصورات غنوصية باطنية، وهو ما عبر عن انحدار علم تم اعتباره زهرة من زهرات الإنتاج العلمي العربي، مع الفلسفة والمنطق وعلم الفلك وعلم البصريات والرياضيات[4]، ومما يعبر عن حالة الانحدار هذه تسلل ما يسمى بأسرار الحروف إلى الممارسة الطبية.

في حديثه عن علم أسرار الحروف يشير ابن خلدون إلى ارتباطه بالتطورات التي طرأت على الفكر الصوفي، فينص على أنه حدث في الملة "بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوّفة وجنوحهم إلى

---

[1]- إملي سافاج سميث، "الطب"، نشر في: موسوعة تاريخ العلوم الاسلامية، ج3، ص: 1184.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، ص: 319.

[3]- إملي سافاج سميث، "الطب"، نشر في: موسوعة تاريخ العلوم الاسلامية، ج3، ص ص: 1184-1185.

[4]- الكنتي سيد أحمد بن عمر الرقاد (ت حوالي: 1096هـ/ 1684م): كتاب شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام، تح: فلوريال سنوغوستان، ليون، ENS ÉDITIONS، 2011، ج1، ص: 7 (من مقدمة المحقق).

كشف حجاب الحسّ، وظهور الخوارق على أيديهم والتّصرّفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزّل الوجود عن الواحد وترتيبه"[1]، وهكذا يربط ابن خلدون تبني هذا التصور إلى شيوع نظرية الفيض وما يتعلق بها من ربط الوقائع الأرضية بمؤثرات فلكية، فزعم هؤلاء حسب ابن خلدون أن "الكمال الأسمائيّ مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام. والأكوان من لدن الإبداع الأوّل تتنقّل في أطواره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف (...) وحاصله عندهم وثمرته تصرّف النّفوس الربّانيّة في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهيّة الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السّارية في الأكوان"[2].

---

[1]- الغنوصية/Gnosticism من الكلمة اليونانية غنوص/Gnosis التي تعني المعرفة الحدسية الباطنية، والتواصل مع الحقيقة الكلية عن طريق البصيرة الداخلية، وقد عرف لالاند الغنوص بأنه: "يقوم على انتقائية عرفانية، تطمح إلى التوفيق بين كل الديانات، وتفسير معناها العميق بواسطة معرفة باطنية وكاملة للأمور الإلهية، يمكن تناقلها بالتراث وبالتلقين، ولم يكن تعليم مختلف الجماعات العرفانية متشاكلا، إنما عقائدهم المشتركة هي فقط: الفيض، السقطة، الخلاص، ممارسة الوساطة بين الله والبشر بواسطة عدد هائل من القوى السماوية". انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ج2، ص: 556.

[2]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، ص: 337. وانظر أيضا: ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد محيط الحافظ، دمشق، دار الفكر، 1996، ص ص: 112-121. ومن الدراسات الهامة التي تعالج هذه القضية أشير إلى: مراد الضويري، أنتروبولوجيا الإسلام التفكير السحري في الثقافة العربية الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين: ابن عربي وابن خلدون نموذجا، تونس، دار سحر للنشر، 2014، ص ص: 87-98؛ ولأهمية الأصول فإن المؤلف يعالج في ص: 88-92 دور جابر بن حيان في تأسيس العلوم الخفية في الثقافة العربية الإسلامية؛ جلال شوقي، "المربعات السحرية في المخطوطات العربية"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، 1991، ص ص: 178-219. ومن المفيد العودة أيضا إلى دراسة المستشرق بر لوري حول السيمياء أو سحر الحروف عند البوني في كتابه: من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ط4، تر: لويس صليبا، جبيل/لبنان، 2016، ص ص: 171-209؛ ويبقى أشهر ما ألف في هذا الباب كتابي: غاية الحكيم للمجريطي وشمس المعارف للبوني.

هذه الأفكار تشير إلى امتدادت التصوف الفلسفي بجذوره الباطنية الغنوصية[1]، ومن المعروف أن جذور هذا الاتجاه بالمشرق تعود إلى ذي النون المصري (ت: 245هـ/859م)، الذي وصفه القفطي أنه من "طبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيمياء وتقلد علم الباطن، والإشراف على كثير من علوم الفلسفة، وكان كثير الملازمة لبربا بلدة أخميم [بصعيد مصر]، فإنها من بيوت الحكمة القديمة"[2]، وهذا الاطلاع على الفلسفة وعلوم الباطن والعرفان القديم هو الذي دفع بحركة الزهد إلى طريق جديد، تجاوز به ذو النون الموروث الإسلامي إلى الموروث العرفاني بمختلف أشكاله الباطنية، مع يرتبط بذلك من السحر والطلسمات وثقافة الأسرار[3].

ظهرت في تعاليم ذي النون المصري العقيدة الأساسية للتصوف الفلسفي، ممثلة في التوحيد واتحاد النفس النهائي بالله، وقد عبر عن هذه العقيدة بتعاليم تشبه الأفلاطونية المحدثة إلى حد كبير، باستثناء وسيلة الوصول التي نقلها من القوة الحدسية إلى الورع والتعبد[4]، والذي يتبين من خلال المقارنة أن أكثر الآراء التي تبناها نجدها في الكتابات المنسوبة إلى ديونيسيوس الأريوباجي الذي كان قد تنصر على يد القديس بولص؛ والذي تعتبر مؤلفاته نقطة الانطلاق للتصوف المسيحي في العصور الوسطى، وقد أثبتت البحوث المقارنة أن هذه الكتب إنما ألفت حوالي القرن 6م، وأن الذي كتبها هو أحد أتباع أبرقلس؛ حيث استمد الكثير من أفكارها من الراهب الغنوصي السرياني **سطيفانوس برصدّيلي**، أحد الرهبان البارزين في شرق سوريا، الذي كانت آثاره منقولة إلى العربية ومنتشرة انتشارا كبيرا عند انبعاث التصوف الاسلامي، ومن مؤلفاته ذات الدلالة في موضوعنا: "كتاب هيروثيوس في الأسرار الخفية للربوبية"[5].

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، ص: 337.

[2]- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ، ص: 185.

[3]- انظر تفاصيل هامة عن تكوينه الفكري عند: رينولد نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تر: أبو العلا عفيفي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947، ص ص: 8-12.

[4]- دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، تر: إسماعيل البيطار، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص ص: 164-165.

[5]- انظر: رينولد نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص ص: 15-16؛ حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ط3، بيروت، دار الجيل، 1993، ج1، ص: 300. وحول أبرقلس وديونيسيوس الأريوباجي انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006، ص ص: 310-311؛ 15-16.

أما في الغرب الإسلامي فيعدّ محمد بن مسرة (ت: 319هـ/931م) رائد تيار التصوف الفلسفي بالأندلس، وقد وصفه صاعد الأندلسي بأنه كان كلفا بفلسفة أمباذوقليس دؤوبا على دراستها[1]، وليست التعاليم التي تأثر بها ابن مسرة تعاليم انباذوقليس المبكرة، بل الأنباذوقليسية الجديدة التي مزجت آراء انباذوقليس الطبيعية بالأفكار الغنوصية، ثم ما لبثت أن تأثرت بأفكار فيلون الاسكندري وأفلوطين في التاسوعات وفورفوريوس الصوري وأبرقلس[2]، وهي التي تنتهي إلى تأويل النصوص الدينية وقراءتها على ضوء مبادئ الفلسفية اليونانية المتأخرة المشبعة بالمؤثرات العرفانية.

يقدم ابن خلدون وجهة نظر هؤلاء في طريقة الجمع بين معتقداتهم الفلكية وإيمانهم بأسرار الحروف وتطبيقاتها الطبية حسبهم؛ حيث قسموا الحروف "بقسمة الطّبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر؛ واختصّت كلّ طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرّف في طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنف: فتنوّعت الحروف بقانون صناعيّ يسمّونه التكسير إلى ناريّة وهوائيّة ومائيّة وترابيّة (...) الحروف الناريّة لدفع الأمراض الباردة ولمضاعفة قوّة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها، إمّا حسّا أو حكما، كما في تضعيف قوى

[1] - صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المكتبة الكاثوليكية، 1912.ص: 21. وانظر حول تأويل ابن مسرة لمبادئ انباذقليس الميتافيزيقية: محمد العدلوني الإدريسي، المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي: ابن مسرة ومدرسته، الدار البيضاء، دار الثقافة، 2000، ص ص: 69-76.

[2]- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، القاهرة، دار المعرفة الجديدة، 2000، ص ص: 488-489؛ آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص ص: 329-330. وعن أنبذقليس المنحول يقول صاعد الأندلسي: "كان في زمن داوود النبي عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الأمم، وكان أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ثم انصرف إلى بلاد اليونانيين، فتكلم في خلقة العالم بأشياء يقدح ظاهرها في أمر المعاد فهجره لذلك بعضهم، وطائفة من الباطنية تنتهي إلى حكمته وتزعم أن له رموزا قلما يوقف عليها". انظر: طبقات الأمم، ص: 21. وحول فيلون الاسكندري وأفلوطين وفورفوريوس الصوري انظر على التوالي: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص ص: 490-491؛ 76-78؛ 466-468.

المرّيخ في الحروب والقتل والفتك، والمائيّة أيضا لدفع الأمراض الحارّة من حمّيات وغيرها، ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسّا أو حكما، كتضعيف قوى القمر وأمثال ذلك"[1].

ويعد ابن مسرة من أشهر من ألف في بلاد الغرب الإسلامي ضمن أسرار الحروف، في كتابه: خواص الحروف وحقائقها وأصولها، الذي تضمن تصورات مغرقة في العرفان الصوفي بالبحث في دلالات الحروف المقطعة لسور القرآن واستخراج المعارف السرية منها[2]، ونجد هذا البعد حاضرا بشكل لافت في كتاب الحكيم المجريطي (ت: 398هـ/1008م): غاية الحكيم في الأرصاد الفلكية والطلاسم الروحية والتنجيم، كما ألف فيه ابن عربي (ت: 638هـ/1240م) عدة كتب مثل: كتاب الميم والواو والنون، وكتاب الياء[3].

من خلال عملية استدخال هذا التيار عبر تطورات التصوف المغربي؛ وجدت هذه الآراء حضورا داخل مناخ زحف فيه التصوف متجاوزا الحرب الفقهية القديمة ومخترقا العقل الفقهي والطبي على السواء، ليصبح أحد مميزات المنظومة المعرفية الإسلامية في تلك المرحلة التي كتب فيها ابن هيدور، للحدّ الذي نجد شخصية عقلانية مثل ابن خلدون تحاول أن تجد تخريجا مقبولا لهذا التوجه عن طريق التفريق بينه وبين السحر، ولذلك يمكن القول أن المقالة الحكمية لابن هيدور التادلي تندرج ضمن صورة الامتزاج الذي وقع بين الطب العقلاني والأفكار الغنوصية القائمة على ثقافة الأسرار التي استدخلها التصوف.

4. أسباب وقوع الوباء عند ابن هيدور التادلي

تعبّر رسالة المقالة الحكمية لابن هيدور التادلي عن تصورات العقل المغربي حول الوباء بعد الطاعون الجارف سنة: 749هـ/1348م، وهي الواقعة القاسية التي أحدثت نوعا من المراجعات حول الأفكار التي كانت سابقة لها حول هذا النوع من الأوبئة، وفي مقدمة هذه المراجعات ما كتبه ابن خاتمة (ت: 770هـ/1369م) في: **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**، وابن الخطيب (ت: 776هـ/1374م) في: **مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل**، والشقوري (ت بعد: 776هـ/1374م) في:

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر، ج2، ص: 338. وانظر للتفصيل أكثر في طريقة ربط المتصوفة بين علم الحروف وحركة الأفلاك واستعمالات ذلك السحرية: ساعد خميسي، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحمن التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006، ص ص: 83-90.

[2]- انظر حول كتابات ابن مسرة: محمد العدلوني الإدريسي، المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي: ابن مسرة ومدرسته، ص ص: 51-54.

[3]- انظر الدراسة الموسعة لساعد خميسي في: الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، ص ص: 69-213.

النصيحة التي اختصر فيها كتابه المفقود: **تحقيق النبأ في أمر الوباء**؛ وغيرها من الكتابات[1]، وقد خصصنا هذه الكتب بالذكر لما تضمنته من إقرار بالعدوى وتجاوز للخطاب القائل بنفيها بخلفية دينية نتيجة قراءة تجعل الأحاديث التي ظاهرها نفي العدوى حكما على غيرها[2]، مع أن ابن هيدور تجنّب مناقشة مسألة العدوى بما قد يعبر عن عدم استعداده للدخول في مواجهة مباشرة مع العقل الجمعي والقول السائد بين النخب الفقهية النافذة والمؤثرة[3].

فرّق ابن هيدور بين الطاعون وغيره من الأمراض بالنظر إلى أسبابه؛ فكتب أنه "إذا اختل المزاج وخرج عن اعتداله الصحي بسبب ما يرد عليه من فساد الهواء والغذاء اضطربت الأخلاط وفسد نظامها الصحي، وفسدت الأعضاء الرئيسية الأصلية بفسادها وانحل نظام ما تركب منها؛ إما بسرعة وإما بمهلة، فما كان منها بسرعة ووحي يعم ناسا كثيرة سمي الطاعون الوبائي، ويسمى أيضا المرض الوافد، وما كان منها بمهلة وغير عام؛ فيسمى مرضا شخصيا جزئيا على حسب ما فسرته الأطباء في اختلاف أنواعه وأشخاص تلك الأنواع في كتبها"[4]، وهذا التصور للطاعون إنما يعبر عن استمرارية المفهوم الأبقراطي الذي شرحه جالينوس، واعتمده الطب الإسلامي والمسيحي في المرحلة الوسيطية، وحكم التصورات الطبية التي لم

---

[1]- أصدر محمد حسن سنة: 2013 تحقيقا لهذه الكتب في كتابه: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2013؛ وقد قدّم للتحقيق بمقدمة بالغة الأهمية في الموضوع؛ وانظر جردا بهذه الكتابات في: ابن الخطيب الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم: حياة قارة، الرباط، دار الأمان، 2015، ص ص: 17-37 (من مقدمة التحقيق).

[2]- لعل من أهم المؤلفات في الدفاع عن الرأي القائل بانتفاء العدوى هو: ابن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض، دار العاصمة، 1990، ص ص: 229-312.

[3]- انظر مثلا الموقف المتقدم في تأكيد العدوى الذي أسس له ابن الخطيب في: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص ص: 66-75؛ وقد عده محمد حسن أجرأ من ابن خاتمة في التصدي للخطاب الذي غلب على الفقهاء حتى بلغ به القول: "التصامم عن مثل هذا الاستدلال زعارة وتصاقر على الله واسترخاص لنفوس المسلمين (...) فارتكاب اللجاج فيه ألحم في الناس سيف الطاعون وسلط عليهم بعض المفتين من اعترضهم بالفتيا اعتراض الأزارقة من الخوارج للناس بالسيوف". انظر: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، ص: 71 (من مقدمة التحقيق).

[4]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص: 36.

تسمح لها مناهجها يومها من إدراك الأسباب الحقيقية لهذا المرض (مسار الانتقال من: الفئران، البراغيث، الإنسان والحيوان)[1].

يتضح في نص المقالة محل الدراسة الاستناد إلى التقاليد الطبية اليونانية التي تعرف عليها المسلمون من خلال ترجمة التراث الطبي للإغريق، وقد ورد في النص الإشارة إلى كتابي جالينوس: في تعرف علل الأعضاء الباطنة المعروف بكتاب المواضع الآلمة[2]، والعلل والأعراض[3]، كما تم الاستناد له في الجزء المتعلق بالأدوية عندما تحدث المؤلف عن الترياق الكبير[4]، في سياق حديثه المختصر عن الأمراض الشخصية الجزئية، فيما تم الاستناد إلى آراء أبقراط حول أسباب فساد الهواء[5]، لكن تأثير أبقراط أوسع مما ذكر ابن هيدور اسمه فيه، ذلك أن مقالته في جوهرها قائمة على نظرية الأخلاط الأربعة الأبقراطية[6]، ومع التنبيه

---

[1]- انظر: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق ودراسة: محمد حسن، ص ص: 34-36، 39، 62-63 (من مقدمة التحقيق).

[2]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص:37. حيث ذكر هذا الكتاب باسم: تعرف الأعضاء الآلمة، وانظر حول هذا الكتاب وترجمته للعربية: نشوى جمعة ضيف الله بدر، "الترجمة العربية لكتاب جالينوس: في تعرف علل الأعضاء الباطنة المعروف بكتاب المواضع الآلمة: دراسة في تقنية الترجمة"، Annal islamologiques، 54(2000)، ص ص: 179-222.

[3]- المصدر نفسه، ص: 37. وكتاب العلل والأعراض لجالينوس من الكتب التي ترجمها حنين بن إسحاق للغة العربية. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص: 351.

[4]- المصدر نفسه، ص: 48.

[5]- المصدر نفسه، ص: 38.

[6]- حول نظرية الأخلاط الأربعة الأبقراطية يقول محمد عابد الجابري: "كانت معروفة من قبل في خطوطها الكبرى، وملخص هذه النظرية أن بدن الانسان يتكون مثله مثل أي جسم طبيعي من العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار، وهذه العناصر تترتب عنها كيفيات أو طبائع أربع: اليبوسة (التراب)، والرطوبة (الماء)، والبرودة (الهواء)، والحرارة (النار)، ثم شيدت على ذلك نظرية الأخلاط الأربعة التي تتألف من العناصر الأربعة كمادة، ومن الكيفيات الأربعة التي تعطي لكل خلط صورته وجوهره، وهذه الأخلاط هي السوائل التي يشتمل عليها جسم الانسان، وهي: الدم وهو حار رطب، والبلغم وهو بارد رطب، والمرة الصفراء وهي حارة يابسة، والمرة السوداء وهي باردة يابسة (...) وقد ترسخت نظرية الأخلاط في الطب وبقيت حية إلى حدود القرن الثامن عشر، وعلى أساسها كانت تفسر حالة الصحة بكونها عبارة عن توازن في البدن بين هذه المكونات، ويعبر عنه بـ: الاعتدال، بينما حالة المرض هي اختلال في هذا التوازن ويعبر عنه بفقدان الاعتدال، وأضيف إلى ذلك تأثير المناخ متمثلا في الفصول الأربعة". انظر: ابن رشد، الكليات في

إلى الخلاف الكبير في الرؤية الطبية لكل من جالينوس وأبقراط؛ إلاّ أن ابن هيدور مثّل استمرارية للمدرسة الطبية العربية في الجمع بين مدرستي الرجلين "مع الوعي بالاختلاف بين مكوناتها معتبرين هذا الاختلاف أمرا طبيعيا، شأنه شأن الاختلاف المعروف داخل الثقافة العربية بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة مثلا، أو بين المحدثين والمتكلمين"[1].

من ناحية أخرى يتضح عند ابن هيدور التادلي حضور المؤثرات العرفانية التي تأثرت بها الثقافة الإسلامية انطلاقا من توسع دار الإسلام إلى المجالات التي كانت تنتشر بها التصورات الهرمسية ومعتقدات الصابئة الحرانية وأفكار الأفلاطونية كما سبق تبيانه، وهو ما ندركه في قوله بتأثير الكواكب على الأوضاع الأرضية، ومحاولته الجمع بين آراء المنجمين والأطباء[2]، ومع أنه قدّم ذلك باعتباره قولا علميا قابلا للتفسير العقلي، فإنه لم يكن سوى محاولة توفيقية انتصرت في الأخير للتصورات الغنوصية.

يردّ ابن هيدور وقوع الوباء إلى سببين قد يفترقان وقد يجتمعان، إذ يقع حسبه "من فساد الهواء وتعفينه، ويكون أيضا من فساد الأغذية، ويكون منهما معا، وهو الطامة الكبرى"[3]، وهو يعلل فساد الهواء انطلاقا من رؤيتين متباينتين؛ الأولى هي رأي المنجمين الذين يرون سبب ذلك "مطارح أشعة الكواكب المفسدة للمزاج المستولية على القرانات وتحاويل السنين والاجتماعات والاستقبالات الكائنة قبل تحاويل السنين من غير نظر السعود المحللة"[4]، ثم يحدد بالضبط الكواكب التي تقع على أشعتها إفساد الوضع الأرضي وفق قرانات معينة؛ وهي حسبه ثلاث:

- استيلاء طبيعة زحل: وينتج عنها الأمراض السوداوية التي تظهر على سطح البدن بالخراجات المستولي عليها البرد واليبس المفرطان والحرارة فيها عرضية من الانعكاس الضدي.
- استيلاء طبيعة المريخ: وينتج عنها أمراض الدم بفساد ركنه بتمييعه وانحلاله بقوته السميّة السارية في الهواء وتكون الحرارة فيه ذاتية.

الطب، تقديم: محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص: 15-16 (من التقديم)

[1]- ابن رشد، الكليات في الطب، ص ص: 13-14 (من التقديم).

[2]- حول التيارات العرفانية وحضور أفكارها في الثقافة الإسلامية انظر: حسين بوبيدي، جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط: إخوان الصفا أنموذجا، القاهرة، دار الكلمة، 2018، ص ص: 75-97، 197-202.

[3]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص:37.

[4]- المصدر نفسه، ص ص:37-38.

- آثار عطارد: التي ينتج عنها ظهور ذوات الذوايب الناشئة في الأثير[1].

أما الرؤية الثانية في تفسير سبب فساد الهواء حسب ابن هيدور؛ فهي رؤية الأطباء، الذين "يزعمون أن فساد الهواء يكون من تغير الفصول، ويكون فساده أيضا من الأبخرة المتعفنة الصاعدة من الأرض، وذلك بأن ترتفع أبخرة فاسدة من السباخ ومن البطائح المتغيرة المياه والأوخام الثرية الراكدة الهواء وأقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي أصابها الموتان ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفنة، فيتغير الهواء عنها ويتعفن ويحدث عنه الوباء كما ذكر أبقراط أنه حدث في بعض المدن من قبل البخارات التي تأدّت إليهم من الموتى الذين كانوا ببلاد الحبشة"[2]، وتعد هذه الرؤية امتدادا للطب العقلاني، وقد نبه ابن هيدور في مطلع رسالته أنها "فيما قالته الحكماء ورسمته العلماء في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية"[3]، إلا أن ما قرره يتجاوز هذه الرؤية كما هو واضح من النصوص المستخرجة من مخطوطه.

---

[1]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص:38. ويمكن مقارنة هذا الرأي بما عند: ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، نشر في: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، ص ص: 138-139؛ ابن الخطيب الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص: 65؛ وأشير هنا إلى نموذج من القائلين بهذه التصورات من داخل التيار الفلسفي العرفاني في الثقافة الإسلامية؛ وهو إخوان الصفا في رسائلهم، حيث يمكن ملاحظة تعليلاتهم لتأثير الكواكب وقراناتها على الحوادث الأرضية في: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار صادر، د ت، ج3، ص ص: 249-268.

[2]- المصدر نفسه، ص ص:38-39.

[3]- المصدر نفسه، ص: 36. وقارن بـ: ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ص ص: 131-138؛ ابن الخطيب الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص: 65؛ الشقوري، النصيحة، نشر في: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، ص: 256؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج1، ص: 518، ونلحظ هنا أن ابن هيدور لم يستحضر في مقالته الرأي الذي يربط بين الطاعون ووخز الجن، وقد كان قولا منتشرا بين النخب الفقهية، وهناك من ضمه إلى هذه التفسيرات الطبية مثل: كما دمج الرصاع بين الرؤيتين الطبية والغيبية في: محمد المواق ومحمد الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ/1481م)، تح: محمد حسن، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007، ص ص: 103-115. وانظر نماذج للتوفيق المعاصر بين القول بوخز الجن وبين التفسير العلمي، وإعطاء دلالات جديدة للفظ

يجمع ابن هيدور التادلي بين الرأيين السابقين فيرد الرأي الثاني إلى الأول؛ مؤكدا أن ما ذكره الأطباء من سبب فساد الهواء راجع إلى ما ذكره المنجّم، ومعللا ذلك أن "تغيير الفصول إنما يحدث عن حركة الشمس الذاتية لها في فلكها الخارج المركز، والشمس إذن أثرت في الفصول وأوجدتها بحركتها، والفصول إنما هي راجعة إلى اختلاف الهواء في كيفيته الحامل لها وتغيره بحركة الشمس، فحركة الشمس إذن أثرت في الهواء وغيرت كيفيته فتغير الهواء أثر عن حركة الشمس، والأبخرة المتعفنة الصاعدة إنما أثر فيها فساد الهواء وانحرافه، لأن من فساده تفسد المياه والرطوبات السائلة كلها؛ لأنه ألطف منها ومحيط بها فله التأثير فيها، كما له التأثير في المولدات الثلاثة: المعدن والنبات والحيوان، وهذا ظاهر ومحسوس لكل أحد، فإذا تغيرت المياه والأجامّ والرطوبات الراكدة وتعفنت وصعدت إلى الهواء بتلطيف الهواء لها زادت في كمية فساده وانحرافه"[1].

ويضيف ابن هيدور إلى التفسيرين السابقين، سببا آخر يتعلق بنوع الغذاء الذي يتناوله الناس، إذ يجعل هذا الوباء ناتجا "أيضا عن فساد الأغذية المستعملة في زمن المجاعات وغلاء الأسعار، فيضطر فيها الانسان إلى تناول غذاء غير مألوف للطبيعة ولا اعتادته أصلا، وإلى غذاء مألوف قد فسد وتعفن لطول زمانه وقدمه فيفسد المزاج من هذه الأغذية وتحدث الأمراض القاتلة"[2]، وقد ربط بين الغلاء والمجاعة وبين سببين آخرين، الأول هو الجفاف واحتباس المطر، والثاني هو القلاقل والفتن السياسية والاضطرابات الاجتماعية الناتجة عن "الحروب بسبب خروج الخوارج على الملك، فإذا دامت الفتنة وقع الفساد في الأرض والبوادي وفسدت حبوبها المختزنة وانقطعت الطرق وعدمت المرافق لأجل ذلك، وهذا الوباء لازم من لوازم الغلاء كما أن الغلاء لازم من لوازم الفتنة الدائمة"[3]، وقد استند هنا إلى التجارب التاريخية وما شهده الناس من أثر هذه الوقائع في ظهور الأمراض العامة، ولم يحتج إلى تبرير هذا السبب بعلم النجوم ولا قياسه عليه، بل قال أنه "علم صحيح وقانون مطرد لا يحتاج فيه إلى تعديل ولا نظر في النجوم فاعلمه"[4].

"الجن" الوارد في الحديث النبوي عند: شمس الدين المنبجي، كتاب الطاعون وأحكامه، تح: أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، الدوحة، روايا للدراسات والبحوث، 2017، ص ص: 20-26 (من مقدمة المحقق).

[1]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص:39.

[2]- المصدر نفسه، ص ص:39-40.

[3]- المصدر نفسه، ص:40.

[4]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص:40.

يمكننا أن نخلص إلى أن المقالة الحكمية لم تتجاوز ما كان رائجا عند المشتغلين بالطب في المرحلة الوسيطية، فابن هيدور أعاد استدعاء نفس الأفكار والتصورات ودمجها مع فكرة تأثير الكواكب والأفلاك استنادا إلى الأثر الناتج على الأخلاط في الجسد البشري، ولذلك سيكون رأيه في العلاج قائما على هذا التصور للأسباب، وفي هذا السياق يظهر أن ما قاله علي أومليل من أن ابن هيدور قال أن الأوبئة لا ترجع إلى ظروف فلكية بل إلى عوامل اجتماعية ، ليس سوى تعميما في مقام التخصيص، ذلك أن ابن هيدور إنما نفى الحاجة إلى النظر في النجوم في الوباء الذي ربطه بالغلاء والمجاعة والفتن، بينما أصّل كما سبق بيانه لتحكم الأجرام الفلكية في الوقائع الأرضية؛ بل ردّ قول الأطباء إلى تأثير الكواكب وفق طبائعها كما سبق بيانه[1]، والخلاصة أن ابن هيدور – ومثله العقل الفقهي الصوفي يومها- لم يتخلص من الرؤية الغنوصية المنبعثة من داخل القراءة الفقهية للموضوع، لذلك جاءت نصوصه تحمل نموذجا للجمع بين التناقضات التي ميزت العقل الإسلامي في هذه المرحلة.

5. علاج الوباء عند ابن هيدور التادلي:

تكشف مقالة ابن هيدور في باب التداوي من الطاعون عن حالة من المزج بين الرؤية الطبية العقلانية، وبين الرؤية الغنوصية المتلبسة بلبوس الفقه، وذلك بتبنيه فكرة الأسرار الذي تعتمد على حروف القرآن وأسماء الله والأدعية المجربة انطلاقا من الرؤى والحكايات، وخطاب الكرامة الذي مثل يومها أحد أهم علامات ثقافة البركة والنفوذ الروحي للأولياء، للحدّ الذي أصبح مجرد نسبة القول لأحد هؤلاء حجة في ثبوت الشرعية الدينية لنمط التداوي، ولاشك أن حضور هذه الأفكار عند النخب ذات التكوين الفقهي دلالة على المناخ الذهني لبلاد المغرب في المرحلة التي أعقبت الطاعون الجارف، وعلامة على ما انتهى إلية التوفيق بين تصورات مختلفة للتداوي تجمع الطب العقلاني بتمثلاته الإغريقية والإسلامية، والرؤية الدينية التي عبر عنها ما عرف بالطب النبوي، والتأثير العرفاني وعوالمه السحرية، في سياق التلاقي بين الفقيه والمتصوف ضمن انتماء شكلته الصراعات الفكرية والأوضاع الاجتماعية والتقلبات السياسية، ثم عززه ورسخه الطاعون الجارف لسنة: 749هـ/1348م وآثاره.

ولعل من المفارقة التي ينبغي تسجيلها أن ابن هيدور مع أنه لم يقدّم تأسيسا دينيا لوقوع الوباء، مبتعدا بذلك عن السجال المرتبط بقضية وخز الجن[2]، وخطاب القدر والتسليم له طلبا للشهادة أو

[1]- علي أومليل، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط3، بيروت، دار التنوير، 1985، ص: 89.

[2]- انظر نموذجا للرؤية الفقهية المنتصرة لهذا التفسير الغيبي عند: شمس الدين المنبجي، كتاب الطاعون وأحكامه، ص ص: 166-182؛ وفيه تفنيد الأسباب التي علل بها الأطباء الوباء، وأن الملاحظة تنفي ارتباط الطاعون بفساد الهواء، وقد أشار ابن حجر العسقلاني أيضا إلى هذه الاعتراضات، ومع تبنيه لهذه الرؤية

يبحث في السببية، كما ابتعد عن قضية العدوى؛ لكنه سيقدم العلاج ضمن رؤية تمثل توفيقا بين مختلف التصورات الموجودة يومها؛ فجعل الطريقة الأولى لعلاج الوباء تمزج بين رؤية دينية وتصورات غنوصية وهي: "طريقة أسرار الحروف والتوجه إلى الله بالدعاء المأثور"[1]، مسندا ما يختاره كنموذج لهذه الطريقة إلى إحدى رؤى شيخه أبو القاسم بن رضوان رآها سنة: 746هـ/1345م، والتي يخبر فيها أن أسماء التداوي من الوباء هي: "يا حي يا حليم يا حنان يا حكيم"[2]، ثم يستند إلى تجارب ببلاد المشرق تنقش هذه الأسماء في "خاتم ويضاف لها ثماني حاءات"[3]، لكن هذه الطريقة المعتمدة على أسرار الحروف والكلمات تستند أيضا إلى تصورات متعلقة بالتأثير الفلكي، فيذكر ابن هيدور ضمن هذه الحكاية عن الشيخ المشرقي أن "من شرط الخاتم أن لا يتختم به يوم السبت ولا يوم الاثنين"[4]، وقد تم تعليل تجنب السبت والاثنين "لأجل برودة كوكبيهما المنسوبان إليهما وهما زحل والقمر، فيخاف من إفراط البرودة على مزاج حامله في نهاريهما"[5]، ويستدل هنا بأقوال أحد العارفين يقترح تميمة أخرى تندرج داخل نفس التصور المتعلق بقدرة الحروف وأسرارها، فيوصي بكتابة حرز على شكل مثلث، يضم أربعة عشر ألفا، وسبع

فقد حاول أن يجد للأطباء عذرا فقال: "للأطباء إذ لم يتعرضوا لكونه من طعن الجن معذرة، لأن ذلك أمر لا يدرك بالعقل ولا بالتجربة، وإنما تلقيناه من خبر الشارع، فتكلموا على ما نشأ من ذلك الطعن بقدر ما اقتضته قواعد علمهم". بذل الماعون، ص: 105.

[1]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص: 40.

[2]- المصدر نفسه، ص ص: 40-41.

[3]- المصدر نفسه، ص: 41.

[4]- المصدر نفسه، ص: 41.

[5]- المصدر نفسه، ص ص: 41-42. وما يؤكد ما أشرنا له أعلاه من ارتباط هذه التصورات بعالم التصوف في هذه المرحلة ما يرد في نفس النص من أن الطائفة الأحمدية تعتمد على ذكر أسماء: حي حليم حنان حكيم، "وتدخل النار فلا تضرها"، وربطها بخطاب الكرامة من خلال القول أنها تساعد في تخفيف الحر والقيظ استنادا إلى رواية تؤكد أن أحدهم أكثر من ذكرها في يوم قائظ بناحية مكناس "فخفف عنه، وصار ينظر إلى الشمس فيراها تتصاغر له ولونها قد اخضر إلى أن صار يشاهدها كأنها في غار وهي خضراء وقد زال عنه ألم حرها". المصدر نفسه، ص: 42.

حاءات، وسبع نونات، وميمين[1]، وهذا ما يبين حالة توفيق بين مفاهيم فلكية تعلل الوقائع الأرضية بسير الكواكب، وبين تصورات باطنية وفق فكرة الأسرار ذات الجذور العرفانية الغنوصية.

في العلاج بالدعاء نلاحظ ورود أسماء الله التي سبقت الإشارة إليها في التداوي بأسرار الحروف، وهي: يا حليم يا حنان يا حكيم، وتقدم ألفاظ الأدعية باعتبارها خاصة بدفع الضرر وفي مقدمتها الطاعون، وفي دلالة على انتشار ثقافة التمائم ينصح بكتابتها وإلصاقها إلى جدران الدار للنجاة من الطاعون استدلالا بتجارب الناس[2]، وهذه التجارب مما ينفذ في أوقات الأزمات، ويصدقه الناس لانعدام البدائل الواقعية التي يشاهدون نفعها لتجاوز هذه الكوارث، وإذا كان هذا الفقيه الرياضي قد نصح بها، فإن العامة كانت دون شك مسلمة بها ومتيقنة من صدقها.

---

[1]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص: 44. وفي نفس السياق يستدل بقول هذا العارف في النصيحة بأنواع أخرى من هذه التمائم وبيان ما تنفع فيه حيث يكتب ص ص: 42-44: "من كتب في جام زجاج جديد عشرين حاء وأضاف إليها خمسن هاءات وغسلها بما بئر وتنشر بها نفعته من كل داء، وإن شربها أمن من الرجف والخفقان، ومن كتبها في فص خاتم ثمان مرات وكتب معها يا حي يا حليم يا حنان يا حكيم وتختم به أمن من الحميات كلها، ومن ذكر هذه الأسماء عند طلوع الشمس في زمن شدة الحر لم يحس في ذلك اليوم بألم الحر، وإن جعل ذلك الخاتم في ماء وسقى منه من به حمى نفعه ذلك، ومن كان مزاجه الصفراء فلبسه أو شرب من ذلك الماء وجد لذلك راحة ونفعا ظاهرا، ولا يكثر من التختّم به من أسن وبرد مزاجه، ولا يتختم به يوم السبت ولا يوم الاثنين بوجه، ومن خواص هذا الخاتم تعطيل حركة النكاح ولا سيما إذا كان نقشه بطالع يدل على قلة النكاح فإنه يزيده قلة، ومن كان كثير الاحتلام وتختم به أمن من ذلك، ومن تختم به ممن يكون كثير شرب الماء قل شربه وانقطع عنه العطش، وإذا علق في بستان نمى ثمره وكثرت نضارته وسلم من الجوائح، ومن كتب ذلك في رق والقمر تحت الشعاع في ساعة عطارد وجعله على رأسه فإنه إن كان مطلوبا بأمر سلطان أو ظالم طمس الله تعالى عيونهم وقلوبهم عنه، فلا يتوصلون إليه ولا يزيله عن رأسه حتى يسكن روعه، وإذا أمسكه المسجون عجل الله سراحه، ومن كتبه مع سورة الملك في جام وشربه على الصوم ثمانية أيام عجل الله تعالى له الحفظ والفهم وألهمه عواقب الأمور، ومن نقش في مستدير من فضة ثمان حاءات والأسماء الأربعة وذلك في ساعة القمر أو في ساعة الزهرة والقمر مع الشهود وهو مسعود وعلقها بإزاء قلبه وهو طاهر صائم ذاكر لله تعالى وأضمر في نيته أمرا من أمور الدين من الزهد في الدنيا أو غير ذلك أدرك ما نواه، ولا يقرب ذلك وهو جنب فإنه إن فعل وقع في قلبه الرعب والنسيان".

[2]- المصدر نفسه، ص ص : 44-45.

أما العلاج الطبي فيعيد فيه ابن هيدور ما هو معروف عند من كتب قبله من الفلاسفة والأطباء بحسب تصورهم لسبب الوباء المتعلق بفساد الهواء، فيكون العلاج عبر تطهيره وإصلاحه ورده إلى الاعتدال الموافق لمزاج الإنسان الصحي، وذلك من خلال اتخاذ "البيوت الشمالية وفرشها بالرياحين الباردة (..) ورشها بماء الورد الممزوج بالخل والتطبب به، وبالطيوب الباردة ومسح الوجه والأطراف بذلك، والمواظبة على شمه وشم الأترج والليم والأزهار الباردة كالورد والبنفسج، (...) والتدخين بالصندل مع يسير من العود الرطب على إثر الرش بماء الورد"[1]، مع التحذير من التعرض للحرارة الشديدة سواء بالشمس أو الحركة السريعة أو الغضب باعتباره من الحرارة النفسانية التي تضر أكثر من الحركة الجسمانية[2]، والتوصية بسماع "الألحان المفرحة للنفس، وضرب الأوتار ونفخ المزامير على اختلاف أنواعها"[3].

وفي النظام الغذائي يقدم ابن هيدور الطعام والشراب الصحي أحد أشكال العلاج، فيحذر من مصابرة الجوع ومن التملّي من الطعام وخاصة عند النوم، ويذكر أفضل أنواع الخبز واللحوم والخل والبيض وبعض النصائح حول طبخها[4]، وأحسن أنواع الأشربة مثل شراب التفاح والريحان والليم والسفرجل والحصرم وما قد يضاف له من ماء الورد والزعفران انطلاقا من مساعدتها في تعديل المزاج وإصلاح ما فسد من أخلاط الجسم، مع ضرورة هجر أنواع النبيذ المباحة والمحرمة على السواء بسبب تسخينها للدم[5]، والألبان بسبب سرعة تغيرها وفسادها، كل ذلك مع اعتدال في النوم وإفراغ فضلات الجسم بطريقة منتظمة لما في الاحتقان من ضرر تسببه الأبخرة المتعفنة[6].

خاتمة:

لقد عبرت المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية لابن هيدور التادلي عن حالة من تداخل مجموعة من المرجعيات المعرفية، كاشفة عن حالة من التوفيق/التلفيق ميزت تعاطي العقل الإسلامي مع أفكار يبدو

---

[1]- ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية، ص ص: 45-46.

[2]- المصدر نفسه، ص: 46.

[3]- المصدر نفسه، ص ص: 46-47.

[4]- المصدر نفسه، ص: 47.

[5]- المصدر نفسه، ص ص: 47-49.

[6]- المصدر نفسه، ص: 49. وقارن هنا بـ: ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ص: 172-202؛ ابن الخطيب الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص: 65؛ الشّقوري، النصيحة، ص ص: 257-264.

لنا أنها مناقضة لبعضها البعض، وسببه أن هذه الرسالة وما يشبهها من التخريجات التركيبية إنما كتبت ضمن مناخ فكري يؤطر المجتمع ونخبه العالمة على السواء، وليست استمرارية ومراكمة لنظريات وآراء ضمن مدرسة محددة لها أصولها النظرية وقواعدها التطبيقية، فابن هيدور الرياضي العقلاني شارح ابن البناء هو ذاته الواقع تحت تأثير المد الصوفي وثقافته العرفانية وما يرتبط به من الأفكار الغنوصية المستدخلة عبر إيجاد تخريجات إسلامية لها، والمنتمية إلى مجتمع اعتاد على خطاب البركة والرؤى والكرامة، وهو ذاته المحافظ على مركزية الطب الإغريقي في توصيف الدواء انطلاقا من جذور نظرية الأخلاط وتداعيات اعتمادها على مفهوم العلاج وتوصيف الدواء، ولا يبدو لنا ابن هيدور قد حقق تجاوزا ما في طرحه لقضية الوباء، خاصة وأنه أغفل مناقشة مسألة العدوى التي شكلت سجالا طويلا بين النخب الإسلامية، وبالتالي فإن رسالته هي شهادة على الذهنية المغربية في القرنين 8-9هـ/14-15م، وإحدى علامات اختراق الأفكار الغنوصية للعقل الإسلامي عبر مداخل الفلك والطب، كما اخترق غيرها من خلال التصوف والفلسفة.

الملاحق:

الملحق 1: الصفحة الأولى من مخطوط: ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية.

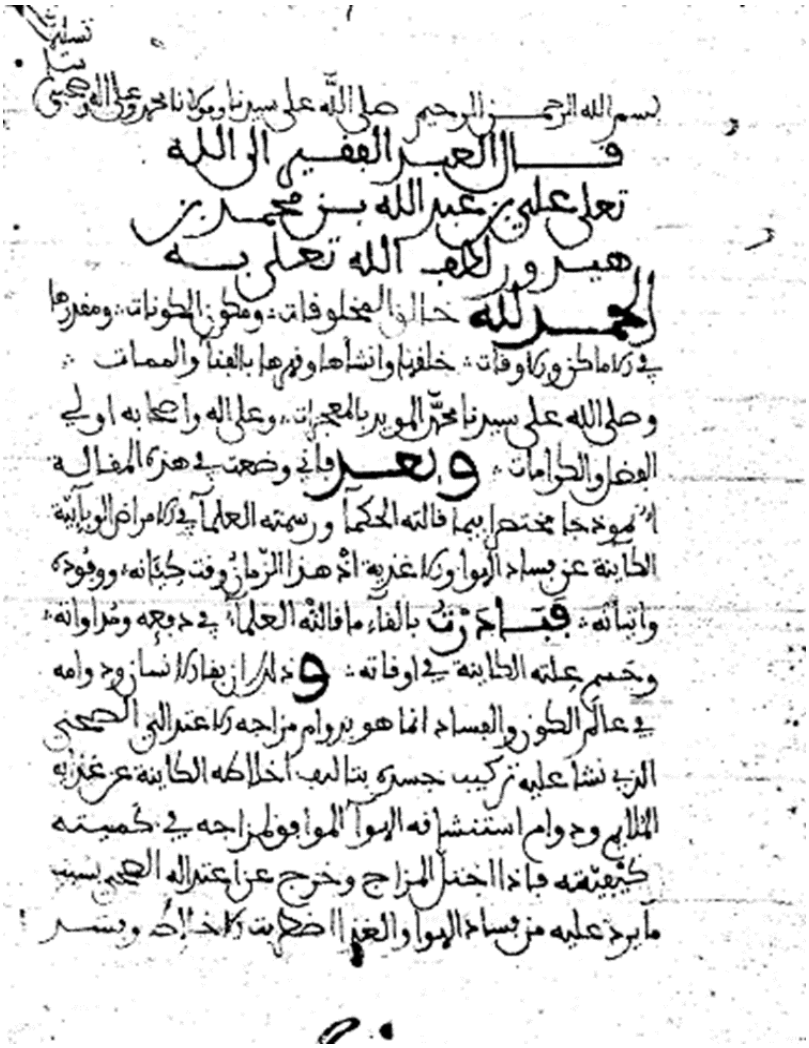

المصدر: نسخة خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني بالرباط: ضمن مجموع 3/455.

الملحق 2: الصفحة الأخيرة من مخطوط: ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية.

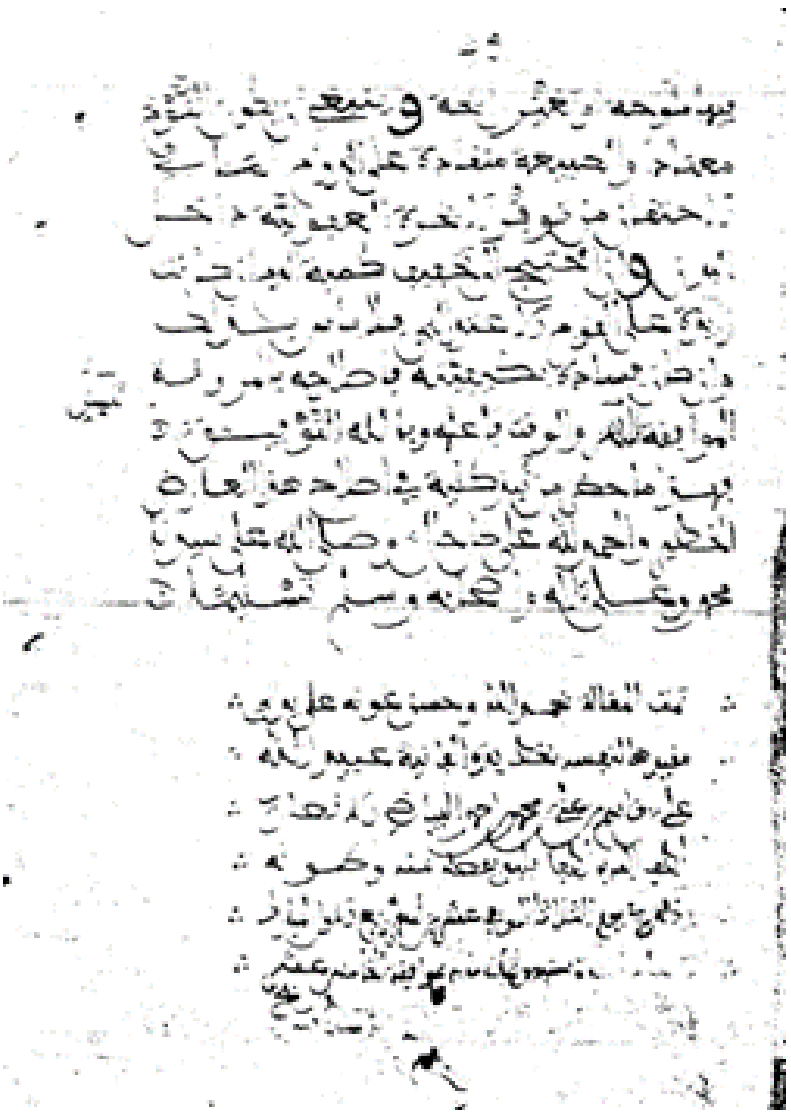

المصدر: نسخة خزانة محمد بن عبد الهادي المنوني بالرباط: ضمن مجموع 3/455.

الملحق 3: الصفحة الأولى من مخطوط: ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية.

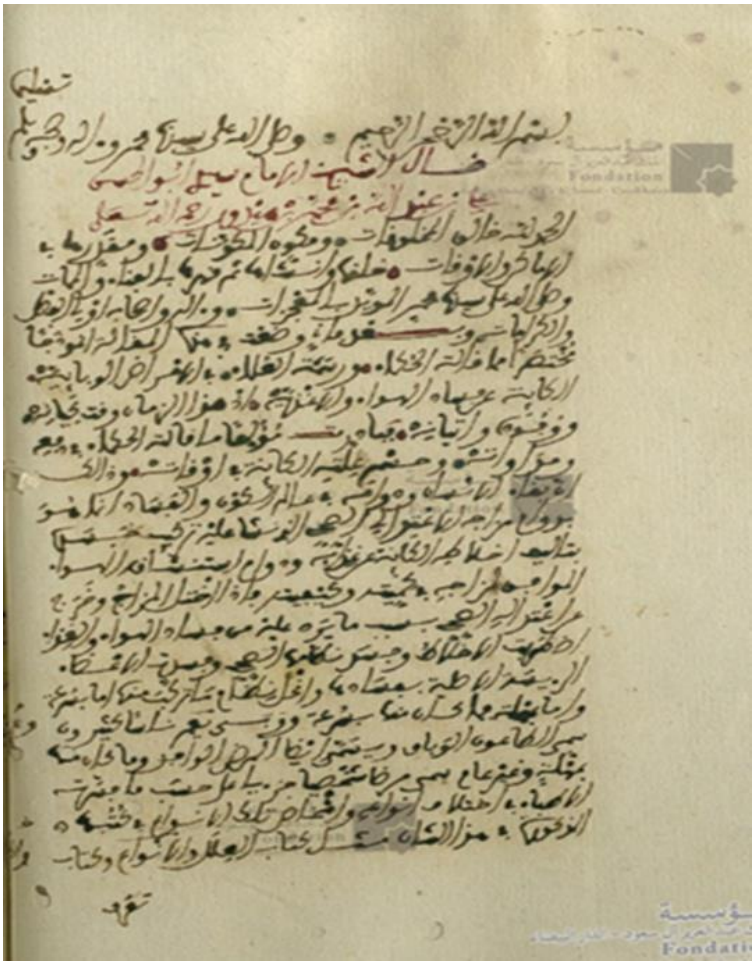

المصدر: نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية بالدار البيضاء

تحت رقم: 364 ضمن مجموع رقم: 1.

الملحق 4: الصفحة الأخيرة من مخطوط: ابن هيدور التادلي، المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية.

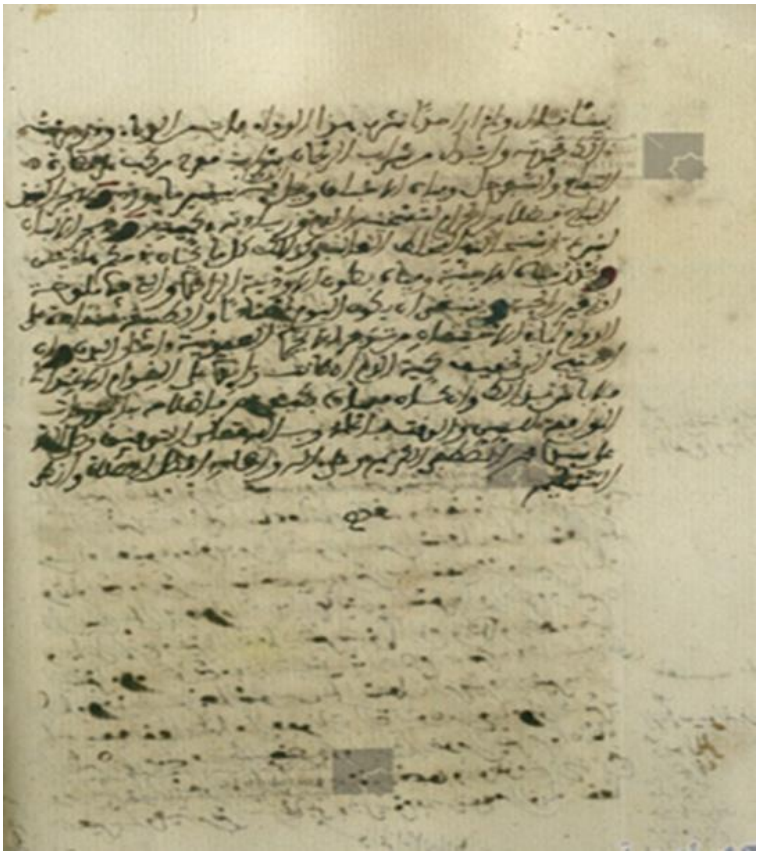

المصدر: نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية بالدار البيضاء

تحت رقم: 364 ضمن مجموع رقم: 1.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

1- الونشريسي، كتاب وفيات الونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، القاهرة، شركة نوابغ الفكر، دت.

2- ابن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض، دار العاصمة، 1990.

3- حسن محمد، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2013.

4- الكنتي سيد أحمد بن عمر الرقاد (ت حوالي: 1096هـ/ 1684م): كتاب شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام، تح: فلوريال سنوغوستان، ليون، ENS ÉDITIONS، 2011.

5- المواق والرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ/1481م)، تح: محمد حسن، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007.

6- المنبجي، كتاب الطاعون وأحكامه، تح: أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، الدوحة، روايا للدراسات والبحوث، 2017.

7- ابن النديم، الفهرست، تح: إبراهيم رضوان، بيروت، دار المعرفة، 1997.

8- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المكتبة الكاثوليكية، 1912.

9- ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973.

10- القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: محمد أمين الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1326هـ.

11- ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تح: عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983.

12- ابن رشد، الكليات في الطب، تقديم: محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

13- التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، دار الكاتب، 2000.

14- ابن الخطيب الغرناطي، مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم: حياة قارة، الرباط، دار الأمان، 2015.

15- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: إبراهيم شبوح وإحسان عباس، تونس، 2006.

16- ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: محمد محيط الحافظ، دمشق، دار الفكر، 1996.

17- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار صادر، د ت.

ب. المراجع:

- **باللغة العربية:**

18- أومليل علي، الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط3، بيروت، دار التنوير، 1985.

19- بوبيدي حسين، جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط: إخوان الصفا أنموذجا، القاهرة، دار الكلمة، 2018، ص: 75-97، 197-202.

20- الجابري ادريس نغش، علي بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي الفاسي (ت: 816هـ) حياته وفكره الرياضي ونصوص مختارة وتحليل رياضي لمقاطع من كتابه التمحيص، الرباط، مركز ابن البنا المراكشي.

21- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة، 1906.

22- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1971.

23- العدلوني الإدريسي محمد، المرحلة الابتدائية في تكون التصوف الفلسفي بالغرب الإسلامي: ابن مسرة ومدرسته، الدار البيضاء، دار الثقافة، 2000.

24- الفاخوري حنا والجر خليل، تاريخ الفلسفة العربية، ط3، بيروت، دار الجيل، 1993.

25- أبو ريان محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، القاهرة، دار المعرفة الجديدة، 2000.
للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، 2014.

26- الضويري مراد، أنتروبولوجيا الإسلام التفكير السحري في الثقافة العربية الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين: ابن عربي وابن خلدون نموذجا، تونس، دار سحر للنشر، 2014.

- **المعرّبة: (أبجد هوزحطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)**

27- أوليري دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، تر: إسماعيل البيطار، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982.

28- بالنثيا آنخيل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت.

29- بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، تر: محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

30- لوري بير، من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ط4، تر: لويس صليبا، جبيل/لبنان، 2016.

31- نيكولسون رينولد، في التصوف الإسلامي وتاريخه، تر: أبو العلا عفيفي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947.

32- سميث إملي سافاج، "الطب"، نشر في: موسوعة تاريخ العلوم الاسلامية، إشراف: رشدي راشد، ج3، ص: 1151-1224.

33- صليبا جورج، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، تر: محمود حداد، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011.

- **الأجنبية:**

34- Lamrabet Driss, introduction a l' Histoire des mathématiques Maghrébines, Rabat, Imprimerie El maarif Al Jadida, 1934.

35- Saliba George, "Science before Islam", in: The Different Aspects of Islamic Culture, Editor: Al-Hassan, Ahmed Y. Iskandar, A.Z. · Ahmad, S. Maqbul, UNESCO publishing, V4, T1, p: 27-49.

- **الرسائل الجامعية:**

36- قريان عبد الجليل، العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني 633-692هـ/1235-1554م، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة قسنطينة 2، 2015-2016.

37- خميسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحمن التليلي، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.

- **الموسوعات:**

38- طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006.

39- لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.

- **المقالات والأعمال الجماعية:**

40- جلال شوقي، "المربعات السحرية في المخطوطات العربية"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، 1991، ص: 178-219.

41- جمعة ضيف الله بدر نشوى، "الترجمة العربية لكتاب جالينوس: في تعرف علل الأعضاء الباطنة المعروف بكتاب المواضع الآلمة: دراسة في تقنية الترجمة"، Annal islamologiques، 54(2000)، ص: 179-222.